

افتتاحية

هذا العدد الجديد من مجلة بصمات يتناول بالدراسة والتحليل مجموعة من أهم مؤلفات المفكر والناقد الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد (1935 - 2003) ساهم فيها زمرة من الباحثين المتخصصين من داخل المغرب وخارجه. فبعد العدد السابق الذي خصص ملفه لموضوع "التأويل في العلوم الإنسانية والاجتماعية"، تقدم مجلة بصمات عددا من المقالات النقدية سعى أصحابها أن يشاركوا بها في التعريف بقيمة إدوارد سعيد كمثقف وناقد أصيل ومتميز لدى القراء المغاربة.

هناك مفارقة تطالع كل مهتم بكتابات سعيد سواء حول الاستشراق أو القضية الفلسطينية أو حتى الإمبريالية الغربية. ذلك أنه في الحين الذي أسالت مؤلفات سعيد وأرائه الكثير من المداد في الولايات المتحدة وأوروبا، وأفرت أشكالا جديدة من الوعي النقدي، وأحدثت تغييرات جذرية في البرامج التربوية ومجالات البحث داخل الجامعات ومعاهد البحوث الغربية، لم تحدث صدى كبيرا في بلدان العالم العربي، ولم تثر المتابعة التي تستحقها، اللهم إذا استثنينا بعض المقالات هنا وهناك. ومكمن الغرابة هو أن طبيعة الاهتمامات التي تعكسها كتابات سعيد تتمثل في القضايا نفسها التي أرقّت وتؤرق بال المفكرين والسياسيين وعموم المواطنين العرب على اختلاف مواقعهم.

ورغم توفر بعض الترجمات العربية للنصوص الإنجليزية التي ألفها سعيد، ما يزال هناك وعي محدود بطبيعة المضامين والمفاهيم والمناهج والرؤى التي تقدمها أعمال سعيد. إذ أنه في غياب حركة فكرية ونقدية دائبة تستطيع التفاعل مع هذه النصوص، تبقى الترجمات وحدها نصوصا معزولة ومحدودة التأثير.

هذا العدد من بصمات يندرج في هذا السياق التعريفي بكتابات سعيد الغنية والمتنوعة. فالمقالات المقدمة في هذا الإطار هي إسهامات قيمة تتجاوز حدود التعريف والتقديم إلى الحوار والمساءلة والنقاش البناء، وهي أيضا تتوزع بين التصور الشمولي للخط الفكري عند سعيد، وبين قراءات تحليلية لنصوص بعينها.

ويمثل الجانب الأول مقالة سعيد بنسعيد العلوي حول النزعة الإنسية التي توطر أعمال سعيد رغم تنوع مضامينها واختلاف مناهجها المعتمدة في التحليل. ولسبر أغوار هذه النزعة

الإنسية ينطلق بنسعيد العلوي في قراءة متفحصة لأهم نصوص سعيد وهي "خارج المكان"، "الاستشراق"، "الثقافة والإمبريالية"، و"تغطية الإسلام" مستنتجا أن تحرير الإنسان وتطهير الفكر هما القيمتان المركزيتان التي حاول سعيد إرساءهما عبر مساره الشخصي والفكري الطويل.

كما يمثل هذا الجانب مقالة كريم بجيت التي بدورها تقدم رؤية تحليلية للمسار النقدي لسعيد يستعرض فيه أبرز المفاهيم والإشكالات النظرية التي تطرق إليها في مؤلفاته بدءاً من كتابه حول جوزيف كونراد وانتهاء بـ"الثقافة والإمبريالية". وبالإضافة إلى رصد التحولات الفكرية عند سعيد يقدم بجيت قراءة مركزة لبعض الكتابات النقدية التي تعرضت للاستشراق، يبين فيها طبيعة النقاشات الدائرة في الأوساط الأكاديمية الغربية.

بين الباحث السوري عبد الله تركماني في مقاله موقع إدوارد سعيد في الساحة الثقافية العالمية منذ صدور كتابه «الاستشراق» الذي تميز بمنهجه النبوي في تحليل ظواهر تاريخية كبرى في تاريخ العلاقات الإنسانية. وأوضح الهوية المتعددة الأبعاد لهذا الموقف الكوني حيث جمع بين صفات المثقف والناقد والسياسي.

وبالإضافة إلى هذين المقالين، هناك دراسات متميزة تناول أصحابها إشكالات محددة، ومنها مقالة محمد الكوش التي تعالج العلاقة المركبة بين خطابي الاستشراق والاستعمار وتسلط الضوء على المقاربة المنهجية التي اعتمدها سعيد في تفكيك مكونات هذين الخطابين المؤسسين على التهميش والتحقير واستغلال الشعوب الأخرى، وذلك من خلال مؤلفي "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية". كما يقدم الكوش تحليلاً نقدياً لخطاب الإرهاب بصيغته الأمريكية كأحدث تجليات الخطاب الاستشراقي الموجه ضد العرب والمسلمين.

أما مقالة خالد الشاوش فتتناول رؤية سعيد لطبيعة العلاقة بين السلطة وخصوصاً منها السلطة السياسية وبين الثقافة ممثلة في المثقفين والكتاب عموماً، وهي العلاقة المؤسسة على نوع من التصدي والمقاومة المتصاعدة. وباستلهام هذا المنظور الذي طوره سعيد لمفهوم المثقف في كتابه "صور المثقف"، يرى الشاوش أنه من اللازم تجاوز ذلك الإغراء الذي يمثله نموذج إدوارد سعيد، والذي يدفع الكثيرين إلى اعتباره غير قابل للنقد والمساءلة. ويختم الشاوش بالقول: "ما من شيء يرغبنا على 'تمجيد' مثل معين في زمن نحن أحوج فيه إلى تراكم من المثقفين والكتاب من عيار إدوارد سعيد ولكن ليس بالضرورة على منواله أو على منوال واحد أوحد".

وتكاملاً مع هذه الدراسات، يقدم مصطفى الصمدي قراءة دقيقة لمؤلف "تغطية الإسلام" بعرض مضامين الكتاب وتحليل فصوله الثلاثة تحليلاً مركزياً يبين مدى سوء الفهم

والتشويه الذي يطال الإسلام في الإعلام الأمريكي والذي يتغذى على قضايا سياسية بالأساس مثل ارتفاع أسعار النفط سنة 1974 ونجاح الثورة الإيرانية سنة 1979. ويشير الصمدي إلى أن سعيد لا يوفر تعريفا ثابتا للإسلام كقيمة بل يسعى إلى تفكيك تلك العلاقة بين منابر إعلامية ومؤسسات أكاديمية وبين السلطة في الولايات المتحدة والتي هي مسؤولة عن إنتاج تلك المعرفة السلبية حول الإسلام والمسلمين.

ويضاف إلى هذه المقالات المكتوبة باللغة العربية، ترجمات أصيلة لنصوص مختارة كتبت بالإنجليزية وتنتشر في نسخها العربية لأول مرة، وتتضمن مقالا لنوبار هوفسيبيان (ترجمة صلاح المخلص) يتناول فيه مدى ارتباط سعيد بفلسطين. ويتجلى ذلك في الانتماء الجغرافي والثقافي وأيضا في الالتزام السياسي والفكري الذي وجه تفكيره وعمله الأكاديمي بداية من سنة 1967. كما يتناول المقال التحولات والتقلبات السياسية للقضية الفلسطينية وصراعا مع الصهيونية، وهي الأحداث التي اختار سعيد أن يكون عنصرا فاعلا ومؤثرا فيها من خلال نشاطه السياسي وكتاباته المتعددة.

ويتضمن هذا العدد مقالا مؤثرا لإدوارد سعيد (ترجمة كريم بجيت) بعنوان "الاستشراق مرة أخرى" يتحدث فيه عن مؤلفه "الاستشراق" وانتشاره الواسع وعن النزعة الإنسية كبديل لخطاب السلطة والقوة الذي تمثله إدارة جورج بوش وكوكبة المثقفين الذين يسرون في ركايبها. ويختم سعيد مقاله بنبرة متفائلة عن إمكانية مقاومة هذه السلطة كأفراد ومجتمعات والمضي قدما نحو الحرية الإنسانية الشاملة.

ويطالعنا سعيد مرة أخرى بشكل عفوي وتلقائي في حوار فكري ممتع أجرته معه الناقدة جاكلين روز في ربيع 1997 (ترجمة محمد بنزيدان) يتحدث فيه عن مفهومه للكتابة والموسيقى وعن ظروفه الشخصية وإقامته في الولايات المتحدة، كما يحكي فيه عن مدى مناهضة اليهود في أمريكا للقضية الفلسطينية، مشيرا في الختام إلى أسباب غياب أي تأثير نسوي قوي في تفكيره على غرار التأثير الكبير لرجال أمثال فيكو وأورباخ وسبيتزر.

ولإعطاء القارئ صورة عن طبيعة الردود النقدية التي لا يزال يثيرها مؤلف "الاستشراق" خصوصا من طرف مستشرقين أو من باحثين مهتمين بمنطقة الشرق الأوسط، نورد في هذا العدد مقتطفين، الأول لمارتن كرامر والأخر لمالكوم كير (ترجمة أحمد أمين جلوالبي). وكلا الرجلين من أشد النقاد تعرضا لمؤلفات سعيد حول الاستشراق والقضايا العربية. والمقتطفات المترجمة تتحدث عن التعميم والتعامل الذي في رأي الناقدين يطبع مؤلف سعيد تجاه المستشرقين.

ونختم ملف إدوارد سعيد بمقال بالإنجليزية لأورلاندو فاليري نتحدث فيه انطلاقاً من مؤلف تأملات في الغربية عن التأثير الهائل والمتعدد الأوجه الذي أحدثته كتابات سعيد خاصة "الاستشراق" و"العالم، النص والناقد" في طبيعة البرامج والمناهج الدراسية داخل الجامعة الأمريكية، مما أعطى لمفهوم التعدد الثقافي دفعة قوية ساهمت في خلق تحولات داخل الحقل المعرفية التقليدية وانفتاحها على بعضها. هذه التحولات الناتجة عن التأثير بمقترحات سعيد حول الانفتاح على الثقافات والآداب الأخرى أثار حفيظة العديد من النقاد اليمينيين المتعاطفين مع إيديولوجيات الحزب الجمهوري أمثال مارتن كرامر ممن يودون ترسيخ الثقافة الأمريكية الخاصة والمتميزة.

تتناول فتيحة بناني الجانب الإنساني في أعمال إدوارد سعيد الذي تخطى به الاختلافات بين الشعوب والديانات والذي يزيل كل العوائق والأصفاة التي تحول دون التعاون والتآخي بين الشعوب.

يتطرق مقال رشدي شمشام لبعض هموم إدوارد سعيد التي لا يعرفها الكثيرون وهي اهتمامه بعلم النفس وقراءاته لفرويد.

يتطرق مقال عبد اللطيف فتح الدين لنشأة الفلسفة الإسلامية بين التأصيل والتغريب، وفيه تناول مرجعيات التفكير الفلسفي في العالم الإسلامي ومنها التصوف، وعلم الكلام، وبين الحالات التي أثر فيها الفكر الإسلامي في الفكر الغربي.

أما المقالات التي ندرجها خارج الملف فتتضمن مقالا لعزيمة الحضري باللغة الفرنسية تقدم فيه وصفا مفصلا للهندسة المعمارية للمسجد الكبير سيدي يوسف بن علي بالصورة وللوظيفة الدينية والتعليمية التي قام بها المسجد مند بنائه في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

أما في مقال رشيد الحضري الذي يعد مساهمة في التنظير لصناعة المعجم، فينتقل صاحبه من نظرية التفرع المقولي وإعادة التفرع اللتين يختزلهما في مجموع الأوصاف الموجودة في المعاجم اللغوية الخاصة والانتقالية، بعد ذلك يتبنى نظرية البنية الحملية، ويقترح بعض الأجوبة عن الأسئلة التي يطرحها.

أما مقال سميرة عمور فيتناول التواصل الداخلي في المقالة ودوره الحاسم في تدبير شؤونها الداخلية وخلق صورة طيبة عنها داخلها بنفس الدرجة التي ترغب فيها المقالة لتحسين صورتها خارجيا.

هيئة التحرير